رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 4- سورة الدخان | من الأية 03 إلى 73

عبدالرحمن العجلان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين فرعون انه كان عاليا من المسرفين - 00:00:01

ولقد اخترناهم على علم على العالمين واتيناهم من الايات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين اهم خير ام قوم تبع - 00:00:32

والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين هذه الايات الكريمة من سورة الدخان جاءت بعد قوله جل وعلا فاسري بعبادي او اسري بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون - 00:01:11

كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين كما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين - 00:01:50

لما ذكر جل وعلا قصة فرعون وعتوة وعنادة وتكذيبه لموسى عليه الصلاة والسلام وان فرعون كان هو اعتى اهل الارض في وقته واشدهم تجبرا وتكبرا فهو اشدهم تكبرا وتجبرا على الحق - 00:02:27

وردا له ماذا كانت نتيجته ما نفعه استكباره ولا تعاظمه بل اهلكه الله جل وعلا وانجى بني اسرائيل في قوله تعالى ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين ما كان يتصور في وقته - 00:03:09

انه يهلك ويغرق ويحتقر ويرفع شأن بني اسرائيل. لان بني اسرائيل كانوا خدما لفرعون واعوانه فانجاهم الله جل وعلا منه ومن عذابه واعطاهم كل ما كان بيد فرعون وقومه ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين - 00:03:46

وقد حرف تحقيق وكأن الله جل وعلا يقسم على هذا الخبر واقسام الله جل وعلا واخباره كلها حق وصدق ولو لم يقسم عليها وكذلك اخبار رسوله صلى الله عليه وسلم - 00:04:30

ولكن الله جل وعلا يقسم اذا شاء زيادة في الاطمئنان وقال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب العذاب المهين. العذاب نوعان عذاب مؤلم لكن لا اهانة فيه وعذاب مؤلم مع الاهانة والاحتقار والاذلال - 00:04:53

فمثلا الاعمال الشاقة الشريفة مؤلمة ومعذبة لكن لا اهانة فيها والاعمال الشاقة الحقيرة المهينة فيها مع المشقة اذلال وكذلك كان بنو اسرائيل كانوا مع فرعون يعملون الاعمال الشاقة مع الاهانة والاحتقار - 00:05:29

وكانوا في المهن الخسيسة الذليلة فهو يشق عليهم ويعذبهم مع الاحتقار والمهانة من العذاب المهين. ما نوع هذا العذاب؟ قال جل وعلا من فرعون انه كان عاليا من المسرفين من فرعون - 00:06:05

بدل من العذاب المهين على تقديري مضاف اي من عذاب فرعون وهو ذبح الابناء واستخدام النساء وتشغيل الرجال في الاعمال الشاقة الحقيرة الخسيسة انه كان عاليا متكبرا متعاظما مترفعا من المسرفين - 00:06:38

المتجاوزين للحد الاسراف هو التجاوز في الحد التعاظم ويتعالي فرعون بغير حق لانه لا يستحق ذلك من فرعون انه كان عاليا متكبرا متعاظما من المسرفين المتجاوزين الحد في هذا يقول تعالى - 00:07:14

ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين يمتن عليهم تعالى بذلك حيث انقذهم مما كانوا فيه

من اهانة فرعون واذلاله لهم وتسخيره اياهم في ادنى الاعمال - 00:07:52
المهينة الشاقة وقوله من فرعون انه كان عاليا من المسرفين اي مستكبرا جبارا عنيدا كقوله ان فرعون علا في الارض وجعل اهلها شيعا فاستكبروا وكانوا قوما عاليين وقوله واستكبروا في الارض وما كانوا سابقين - 00:08:13
وكان فرعون في امره تخيف الرأي على نفسه ولقد اخترناهم على علم على العالمين. ولقد اخترناهم اخترناهم الظمير يعود الى بني اسرائيل اختار الله جل وعلا مؤمني بني اسرائيل ففظلهم - 00:08:41
وميزهم ولقد اخترناهم على علم يعني مع علم منا بحالهم فهو جل وعلا اختارهم مع علمه جل وعلا بحالهم فجعلهم يستحقون ذلك بفظله ومنته على علم على هنا بمعنى مع اي مع علم - 00:09:11
فانهم فان مؤمنيهم يستحقون ذلك لايمانهم وتصديقهم واتباعهم لموسى عليه الصلاة والسلام على العالمين على العالمين العالمين كل ما سوى الله جل وعلا فهو عالم كما قال تعالى الحمدلله رب العالمين رب العالمين - 00:09:42
اختارهم الله جل وعلا على علم على العالمين. ما المراد بالعالمين اختارهم الله على جميع العالمين لا على الثقلين الثقلين الجن والانس ولم يختارهم جل وعلا على الملائكة وليسوا مفظلين على الملائكة - 00:10:23
على علم على العالمين العالمين السابقين واللاحقين لا على عالم زمانهم على عالم زمانهم لان الله جل وعلا قال عن هذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس تميز جل وعلا هذه الامة بانها افضل الامم - 00:10:50
خير امة اخرجت للناس خير الامم هي امة محمد صلى الله عليه وسلم اذا تفضيل بني اسرائيل ليس على العالمين مطلقا وانما على عالم زمانهم هذا قول الجمهور وقيل على العالمين - 00:11:27
يعني عالمي الثقلين الجن والانس يقول لصاحب هذا القول حتى على امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول نعم. نقول لما يرحمك الله الم يقل الله جل وعلا كنتم خير امة اخرجت للناس - 00:11:55
يقول بلى لكن ما في بني اسرائيل من الانبياء الكثر جعلهم يتميزون لكثرة انبيائهم والا فعامة الامة امة محمد افضل منها لكن مع انبيائهم هم افظل لكثرة الانبياء فيهم لان - 00:12:17
بني اسرائيل فيهم انبياء كثير وهذا القول قول ضعيف لان الله جل وعلا قال لهذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس هذه الامة الامة هي خير الامم ولقد اخترناهم على علم على العالمين - 00:12:48
قال مجاهد اخترناهم على علم على العالمين على من هم بين ظهريه وقال قتادة على اهل زمانهم ذلك وكان يقال ان لكل زمان عالما وهذه كقوله تعالى قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس - 00:13:15
اي اهل زمانه وقوله لمريم واصطفاك على نساء العالمين واصطفاك لمريم السلام واصطفاك على نساء العالمين وليست مصطفاة على خديجة ولآسيا امرأة فرعون هؤلاء مثلها وقد تكون خديجة افضل منها بما ورد من الاحاديث في فضلها - 00:13:40
وفضل عائشة على النساء كفضل السريد على سائر الطعام فهي مفظلة عليها السلام على عالم زمانها مريم ابنة عمران اي في زمانها فان خديجة افضل منها وكذا اسية انت مزاحم امرأة فرعون - 00:14:07
ماشي يا بنت مزاحم امرأة فرعون التي قال الله جل وعلا عنها انها قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين واتيناهم من الايات المعجزات - 00:14:34
الدالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ما فيه بلاء مبين. يعني اختبار ظاهر كبار بين اعطى الله جل وعلا موسى من الايات الشيء الكثير الذي امتحن فيه بني اسرائيل - 00:14:56
والممتحن قد ينجح في الامتحان وينال الدرجات العلى والنعيم المقيم في هذا الامتحان وقد يخفق والعياذ بالله فيخسر الدنيا والاخرة والله جل وعلا يختبر العباد ويبتليهم بالخير والشر يبتلى العبد بالنعمة - 00:15:25
هل يقوم بحقها ويشكرها ويؤدي حق الله فيها ويثيبه الله جل وعلا مع ما اعطاه من النعمة ويبتلي الاخر بالنعمة فيخفق ويخسر ويستعين بنعم الله على معصية الله ويخسر الدنيا والاخرة - 00:15:57

ويبتلي العبد الاخر بالمصائب فيصبر ويحتسب ويرضى بقضاء الله وقدره وينال الثواب العظيم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ويبتلي الاخر بالمصائب ويتشخط ويغضب ويعترض على تصرف الله جل وعلا وارادته - 00:16:24

فيكفر ويخسر الدنيا والاخرة الله جل وعلا يبتلي بالنعم كما يبتلي بالمصائب كما قال الله جل وعلا ونبلوكم بالشر والخير فتنة. اختبارا وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا يختبرهم اختبارا حسن - 00:17:00

واتينهم من الايات ما فيه بلاء مبين نعم واتيناهم من الايات اي من الحجج والبراهين وخوارق العادات ما فيه بلاء مبين اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى - 00:17:29

وما نحن بمنشرين ان هؤلاء من هم؟ كفار قريش ان الكلام فيهم كما قال الله جل وعلا في اول الايات في قوله ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون. قال الله جل وعلا انا كاشف العذاب قليلا انكم يا كفار قريش - 00:18:02

عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم موسى عليه السلام. يقول ولقد فتنا قبلهم يعني قبل كفار قريش قص الله جل وعلا قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع فرعون وما حصل - 00:18:30

ثم قال ان هؤلاء لا يقولون ان هؤلاء الذين هم كفار قريش ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين ليقولون ان هي ان هنا نافية ما هي - 00:18:59

الا موتتنا الاولى ما المراد بالموتة الاولى قولان للعلماء رحمهم الله موتتنا الاولى اي الموتى التي تنتظرنا ليس هناك بعدها شيء الموتة الاتية التي تلي اعمارنا هذه فيها اخر شي وهي المنتهى - 00:19:26

في اخر الشدائد لا شدة بعدها تنتهي الحال ان هي اي ما الحال الا موتتنا الاولى نموتها ولا بعث ولا نشور قول اخر لبعض المفسرين رحمهم الله ان المراد بالموتة الاولى - 00:20:01

الموتى حينما كانوا لطفاء يقول ان هي ما هناك موتى يعقبها حياة الا الموتة السابقة التي كنا فيها نطف ثم حيينا ثم انتهى الامر يموت الموتى القادمة ولم تذكر هنا - 00:20:22

ولا بعث ولا نشور والمعنى واحد بان قصدهم من هذا هو انكار البعث كما قال الله جل وعلا عنهم في ايات كثيرة زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير - 00:20:47

ان هي الا موتتنا الاولى يعني السابقة على القول الاخر والموتة الاولى الاتية وما نحن بمنشرين. يعني لا نشور ولا بعث. والنشور هو البعث والاخراج. يعني لا اخراج من القبور - 00:21:17

بعد الموتة الاتية ثم قال تعالى منكرا على المشركين في انكارهم البعث والمعاد وانه ما ثم الى هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور ويحتجون بابائهم بابائهم الماظيين - 00:21:35

الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقا فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين قال مؤمن النبي صلى الله عليه وسلم امرا من الامور قالوا ان كنت صادق لان هناك باعث - 00:21:59

تبعث لنا اباءنا الان وهذه حجة داحضة ان النبي صلى الله عليه وسلم ما قال انكم تبعثون في هذه الدنيا حتى يقولون ائت لنا بابائنا نسألهم. النبي صلى الله عليه وسلم اخبرهم بان البعث والنشور في الدار الاخرة - 00:22:19

ما جاء وقته ولا يتسنى الان فهم من جهلهم يظنون ان حجتهم هذه تنفع وهي حجة داحضة باطلة وانما قالوا فاتوا بابائنا يعني يا محمد احيي اباءنا او يا محمد ومن معك من المسلمين احيوا اباءنا حتى نسألهم - 00:22:46

هل هناك بعث او نشور؟ لو جاء اباؤهم بالامكان ان يكونوا جاءوا هؤلاء عادوا للدنيا ولا بعث ولا نشور في الدار الاخرة ان النبي صلى الله عليه وسلم ما توعدهم بالبعث في الدنيا - 00:23:22

وانما توعدهم في الدار الاخرة والدار الاخرة ما حان وقتها الى الان فاتوا بابائنا ان كنتم صادقين. هناك بعث فاحيوا اباءنا قال الله جل وعلا متوعدا لهم ومنذرا لهم لم تنفعهم النذارة - 00:23:38

بما قص الله جل وعلا عن فرعون. ومن معه لما كلموا موسى لم تنفعهم وقص الله جل وعلا عليهم قصة قوم اخرين هم قريبون منهم

من ولد قحطان وانتم يا قريش من ولد عدنان - 00:24:05
اولئك مشركون وانتم مثلهم اولئك اعطوا من الدنيا والقوة والعظمة ما لم تعطوه انتم اولئك كانت اعمارهم اعمار طويلة من الف سنة واكثر من الف سنة وتبع هذا يقال ان عمره ثلاث مئة ثلاث مئة سنة وزيادة - 00:24:32
وانه سار في الدنيا من شرقها الى غربها خرج من اليمن الى المدينة الى مكة الى المشرق شمرقند وما ورائها والعراق وما وراءه وسار في الدنيا شرقا وغربا وملك واتسع ملكه - 00:25:07
وقال الله جل وعلا اهم اي اكفار قريش خير يعني اقوى واعظم واكثر قوة القوم تبع اقوى واعظم هم يعرفون قوم تبع ويسمعون عنهم لانهم يذهبون الى اليمن وقوم تبع في اليمن - 00:25:32
وتبع من حمير اهلا وسهلا وصى الله جل وعلا اخبارهم وهم من العرب العاربة من قحطان وقريش من العرب المستعربة من بني عدنان خير ام قوم تبع قال الله جل وعلا ام قوم تبع - 00:26:00
فلم يذم جل وعلا تبع وانما ذم ام قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم تبع هذا كما ذكر المؤرخون انه كان ملك من ملوك اليمن وملوك اليمن يسمى الملك منهم تبع - 00:26:30
كما يسمى ملك الفرس يسرى ويسمى ملك الروم قيصر ويسمى ملك مصر من الفراعنة من الكفار فرعون ويسمى الوالي في الاسلام خليفة الخليفة فتبع ملك اليمن سمي بهذا الاسم لكثرة اتباعه - 00:27:00
لانه دانت له الدنيا او جلها وقيل تبع بان بعضهم يتبع بعض. لانه يتبع من سلفه من سبق وهو ملك اليمن وخرج الى المدينة واراد محاربة اهلها فكان اهلها يحاربونه على ما نقل نهارا - 00:27:35
ويقرونه ليلا. يقدمون له القرى والضيافة فاستحيا منهم وتركهم وخرج اليه عالمان من علماء اليهود وقال له لا سبيل لك على اهلاك اهل هذه البلدة لان هذه البلدة مهاجر نبي - 00:28:10
وستبقى كما كانت سيكون في اخر الزمان فترك المدينة واخذ العالمين من علماء اليهود استصحبهم اخذهم معهم لان عندهم من العلم ما ليس عنده فتوجه الى مكة فاعترضه اناس من المشركين - 00:28:40
اعداء لاهل مكة واعداء لهذا الرجل فقالوا له ان هنا في هذا الوادي بيت بني على الذهب والفضة والياقوت فاذا هدمته وحفرت ما تحته استوليت عليه فيه من الغنائم الشيء الكثير - 00:29:07
فعزم على ان يفعل ذلك بهذه الكعبة المشرفة ليهدمها ان هؤلاء اعداء لك وانه لا سلطان ولا سبيل لك الى هذا البيت ولن تستطيع وان اردته بسوء اهلكك الله فهم ارادوا هلاكك - 00:29:40
فاخذ من اشار عليه بهدم الكعبة وقتلهم وجاء للكعبة وطاف بها وكساها فيقال انه هو اول من كسى الكعبة الحرير والحبر اللباس الحسن وقال له العالمين ان هذا البيت له شأن وانه بناه ابراهيم - 00:30:11
الخليل وسيكون له شأن على يد اخر الانبياء محمد فيبعث فيها ومهاجره المدينة وهو اخر الانبياء فيقال انه اسلم وطاف بالبيت وشهد ان محمدا رسول الله ثم ذهب الى قومه يدعوهم الى الاسلام - 00:30:38
فابوا عليه فعاقبهم الله جل وعلا بما قص علينا ولهذا ثبت عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لا تسبوا تبع فانه رجل صالح قال علماء السلف ذم الله قومه ولم يذمه - 00:31:14
وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا ادري هل تبع صالح او طالح ورد في حديث اخر لا ادري عن تبع اهو رجل صالح ام نبي ولهذا قال الله جل وعلا اهم خير ام قوم تبع - 00:31:38
وكان موته بين موته وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم على ما قال المؤرخون الف سنة يعني بعد بعثة موسى عليه الصلاة والسلام لان اليهود من او بموسى ممن امن بموسى - 00:32:03
بني اسرائيل وقبل ان يبعث ويولد المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام كان بين موته وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم على ما ذكر المؤرخون الف سنة. وقيل سبعمائة سنة والله اعلم - 00:32:28

والله جل وعلا هنا يتوعد كفار قريش فيقول اانتم يا كفار قريش خير ام قوم تبع اعطوا من القوة والمنعة والعظمة والشأن العظيم ما لم تعطوا واهلكهم الله جل وعلا لما كفروا - 00:32:48

خير ام قوم تبع والذين من قبلهم عاد وثمود ومن بعدهم بنا ومن قبلهم من الامم والذين من قبلهم اهلكناهم لكل من عصى الرسل وعارضهم ولم يقبل الحق اهلكه الله جل وعلا - 00:33:13

اهلكناهم انهم كانوا مجرمين كما نفعتهم قوتهم لما اجرموا واتوا وعارضوا الرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اهلكهم لان الله جل وعلا لا يعجزه شيء انهم كانوا مجرمين وفي هذا وعيد - 00:33:40

جديد لكفار قريش وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وادخال للسرور عليهم بان الله جل وعلا ناصرهم على عدوهم قال سعيد بن جبير تبع الكعبة وكان سعيد ينهى عن سبه - 00:34:07

وتبع هذا هو تبع الاوسط واسمه اسعد ابو كريب اليماني ذكروا انه ملك قومه ثلاث مئة سنة وست وعشرين سنة ولم يكن في حمير اطول منه مدة وتوفي قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:34:34

بنحو من سبع مئة عام واذكروا انه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة ان هذه البلدة مهاجر مهاجر نبي اخر اخر الزمان اسمه احمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند اهل المدينة - 00:34:57

وقال ابن ابي حاتم قال سمعت سهل بن سعد الساعدي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبع فانه قد كان اسلم ورواه الامام احمد في مسنده - 00:35:21

عن ابن عن ابن لهيعة به وقال الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه قد اسلم انه قد اسلم ينقل بعض المؤرخين انه كتب رسالة الى النبي صلى الله عليه وسلم - 00:35:40

واودعها اهل المدينة فيها شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويخبر الرسول بانه مؤمن به وانه من اتباعه الله اعلم بذلك وهو قد جابت الديار كلها يعني ذهب بعيدا وهو الذي حير الحيرة - 00:36:02

كما قال المؤرخون يعني انشأها وكذلك اقام مدينة سمرقند في المشرق كان له اتباع كثير. والله اعلم والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:36:25